الفصل الحادي عشر

القاضي الجرجاني وقضية السرقات

مدخل :

لقد مر بنا ما اثاره ابو تمام من حركة نقدية بين معاصريه الذين اتوا بعده بسبب ولوعه بالبديع . واغراقه فيه مما عد فيه خارجا على عمود الشعر العربي . فنشطت الحركة النقدية لتثبيت قواعد عمود الشعر . ولتوازن بين اشعار هذا الشاعر . وأشعار معاصره البحتري . فتشكل اشعارهما موازنة بين الشعر المطبوع السائر على طريقة الاوائل والشعر الذي يميل الى التجديد والابتكار اللذين عدا خروجا على النهج الشعري المعروف .

ويبرز المتنبي في القرن الرابع شاعراً شامخا بشعره وشخصيته المتفردة وكبريائه المعروف . فتثير اشعاره حركة نقدية اوسع من حركة سالفه ابي تمام وتشغل الناس خصومه والمعجبين به . ويلتف حوله في زمانه شعراء . وادباء يعجبون به امثال ابي الفرج الببغاء . وابن نباته . وعلي بن ديناز والعالم اللغوي ابن جني . ويذكر الثعالبي ان هؤلاء كانوا يقرأون اشعاره . ويتدارسونها معه(٥٨) ويناوؤه شعراء اخرون فينظرون اليه بحقد وغيره لما احتلته اشعاره من مكانة كبيرة في مجالس سيف الدولة خاصة . ويبرز في مقدمة مناوئيه ابو فراس الحمداني الامير الشاعر

---

(٥٨) يتيمة الدهر ، ١/ ١٠٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦

الذي عز عليه اعجاب سيف الدولة بالمتنبي من جهة وترفع الاخر عن مديحه وهو الامير من جهة اخرى . ويجمع أبو فراس حوله عصبة من الامراء حاولوا البحث عن مساوىء شعر المتنبي .(٥٩)

وحين ينتقل المتنبي من حلب الى مصر وبغداد وغيرهما من المدن العربية تتجدد الحركة النقدية حوله فمن معجبين به الى آخرين اثارتهم شخصية المتنبي فتمنوا ان يكونوا من ممدوحيه . فلما واجههم المتنبي بترفعه عن مدح من هم دون الملوك راحوا يوجهون اليه التهم والمطاعن . ويبحثون عن المساوىء في اشعاره . ويبرز في مقدمة هؤلاء الوزير المهلبي في العراق الذي جمع حوله الشعراء والادباء ليحصوا على المتنبي عيوبه . ويدفع المهلبي اديبا معاصرا له ليؤلف كتابا يتحامل فيه على المتنبي وهو الحاتمي الا ان كتابه الذي سماه بالرسالة الحاتمية يختص بالتحامل على المتنبي من خلال ماسماه بسرقاته .

وينتقل المتنبي في ارجاء العالم الاسلامي . ويتجدد محبوه وخصومه فيطمع الصاحب بن عباد في ان يكون من ممدوحي هذا الشاعر . فيكتب اليه يلاطفه ويستدعيه ويضمن له مشاطرته جميع ماله . فلم يقم له المتنبي وزنا . ولم يجبه عن كتابه فيتصدى الصاحب له . ويؤلف بنفسه كتابا سماه (الكشف عن مساوىء المتنبي) .

كتاب الوساطة :

ويذكر الثعالبي ان القاضي الجرجاني عمل كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه بعد ان وضع الصاحب بن عباد رسالته في اظهار مساوىء المتنبي .(٦٠)

وهكذا يبرز كتاب الوساطة من عنوانه الذي اختاره له مؤلفه ليكون حكما وسيطا بين المعجبين بالمتنبي . والطاعنين عليه . وقد دفعه الى تأليف هذا الكتاب مارآه من تعصب الفريقين وابتعادهما عن الصواب فالمعجبون به يلهجون بذكره . ويشيعون محاسنه فأن رأوا في شعره مايعيب راحوا يبحثون عما ينتصر له ويحسن خطأه وزلله واما الطاعنون عليه فهم يجتهدون في اخفاء فضائله . واظهار مايبه لابعاده عن مكانته التي يراها الناس له . وكلا الفريقين كما يقول القاضي

---

(٥٩) نفسه ١/ ٩٥

(٦٠) اليتيمة ١/ ٤

الجرجاني (اما ظالم له او للادب فيه) فرأى القاضي الجرجاني اذن لا يكون منذ البداية مع واحد من الفريقين . ليبعد عن نفسه تهمة التعصب . وليصل بنا الى الحكم المتأني والقناعة المطلقة بعد استيفاء جميع الادلة والتهم .

لقد حاول القاضي الجرجاني منذ البداية ان يبسيط التهم . ويوضحها بالادلة والشواهد لكلا الفريقين فيبدو لنا فعلا قاضيا عدلا ـ كما مارس القضاء في حياته اليومية ـ فاما الدفاع عن الاخطاء . ومحاولة تسويغها فخطأ كبير . وظلم لانه يخالف الطبيعة البشرية . فأن وجدت في اشعار المتنبي مأخذ واخطاء فذلك أمر طبيعي . لان من حق المتنبي اولا يطالب بالكمال (وليس يطالب اكثر بما ليس من طبع البشر . ولا يلتمس عند الادمي الا ماكان في طبيعة ولد آدم)(٦١)

واما محاولة الفريق المتعصب ضد المتنبي والجامع لاخطائه وعيوبه فظلم ايضا . لان شواهد اشعار المتنبي الجيدة الرائعة شامخة معلومة (وللفضل اثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة فمتى وجدت تلك الاثار . وشوهد هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم(٦٢)

من هنا يبدأ القاضي الجرجاني بعرض التهم الموجهة لاشعار المتنبي معتمدا على المقايسة والمقارنة موسعا صدره لسماع المطاعن الموجهة الى المتنبي فيرسخ لنا من خلال ذلك دراسة قضية نقدية مهمة هي ظاهرة التفاوت الموجودة في اشعار الشعراء ويعني بها انه لايمكن ان نجد شعر الشاعر على نمط واحد من الاجادة والابداع سواء في قصائده الى جانب المتفرقة او في القصيدة الواحدة . وهذا يوصل القارىء الى قناعة تجعله الى جانب المتنبي فعلا . اذ ان الشعراء المجيدين المشهورين لم يسلموا من المآخذ التي اخذها العلماء عليهم . فيعرض القاضي الجرجاني بعض اشعار القدماء . ويحللها ليؤكد حقيقة تفاوت اشعار المجيدين منهم كأبي نؤاس . وابي تمام من المحدثين مثلا اذ يذكر شواهد من اساءاتها . وما اخذ عليهما ليعلن اخيرا ان قصده ليس الحط من شأن هذين الشاعرين وانما قصده تقرير المبدأ الذي عرضه وهو وجوب الاعتراف بوجود التفاوت في شعر الشاعر الواحد (اذ البغية فيه الاعتذار لابي الطيب لا النعي على ابي تمام وانما خصصت ابا نؤاس وابا تمام . لاجمع لك بين سيدي المطبوعين . وامامي اهل الصنعة . وأريك ان

---

(٦١) الوساطة ٤

(٦٢) نفسه

افضلهما لم يحمهما من زلل واحسانهما لم يصف من كدر . فأن انصفت فلك فيهما عبرة ومقنع . وان لججت فما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون)(٦٣)

واذا كان الامر كذلك فيكون من حق المتنبي او القاضي الناظر في اشعار الا يوافق على آراء المتعصبين ضده لمجرد انهم احصوا عليه بعض المعايب والاخطاء فمن غير المعقول ان يطالب المتنبي مالم يطالب به غيره . فيسقط ديوانه ويعاب لوجود بعض الغلط فيه وهو امر لم يسلم منه شاعر قديما كان او حديثا .

ويورد الجرجاني بعد هذا جملة من شواهد شعر المتنبي الرائعة ومقطوعات من عيون قصائده . ليؤكد ماذكره من ان وجود بعض التعقيد والالفاظ غير المستحبة او الشواهد المعيبة الشاذة لا يمكن ان تمحو الكثرة الوافرة من جيد اشعاره .

واذا استوفى شرطه في وجوب العدل في النظر الى مجموع شعر الشاعر وابرز امامنا حقيقة كون مجموع شعر المتنبي لا يخرج عن اطار الجميل الرائع النادر عاد الى تهمة اخرى يوجهها خصوم المتنبي الى اشعاره فوقف عندها وقفة طويلة محللا ومفصلا ومستوفيا آراء من يسبقه الا وهي تهمة السرقة التي وقف عندها النقاد طويلا ...

السرقات الشعرية قبل الجرجاني

لقد اشار الشعراء الى السرقات الشعرية في معرض الفخر او الهجاء فهذا حسان بن ثابت يفخر بأشعاره . ويدعي لنفسه الابتكار فهو لا يسرق معاني من سبقه ولا يتكل على مقولة بعضهم في موافقة معانيهم لمعاني من سبقهم .

لاسرق الشعراء مانطقوا به
بلا لا يوافق شعرهم شعري

وقد تبادل الشاعران جرير والفرزدق تهمة السرقة الشعرية فيقول الفرزدق .

ان استراقك ياجرير قصائدي
مثل ادعاء سوى ابيك تنقل(٦٤)

---

(٦٣) الوساطة ٨٢
(٦٤) ديوان الفرزدق ، ١ / ٣٢٢

ويقول جرير :

سيعلم من يكون ابوه قينا
ومن عرفت قصائده اجتلابا

ولم يول الادباء والنقاد لهذه القضية اهتماما كبيرا اول الامر . وعدوها من الامور التي لاتستحق الوقفة الطويلة . فالجاحظ مثلا لايقف عندها . وانما نفهم رأيه من مقولته المشهورة عن المعاني . وانها مطروحة في الطريق تخطر ببال الناس جميعا . وانما الفضل والشأن لمن يحسن التعبير عنها صياغة واسلوبا . لغة وروحا(٦٥) . وعلى هذا يكون رأي الجاحظ ميالا الى التساهل في هذا الامر .

اما ابن طباطبا فأنه نظر الى السرقات من منظار آخر فمعاناة الشعراء في زمانه بحثا عن الجيد من المعاني . والاشعار جعلت ابن طباطبا ينظر الى الإستفادة من معاني الشعراء الاقدمين وسيلة لانتشال الشاعر من محنته فدعا الى ادامة النظر في اشعار القدماء . لتلصق معانيها بفهمه . وترسخ أصولها في قلبه . وتصير مواد لطبعه . ويذوب لسانه بالفاظها . لكنه في الوقت نفسه دعا الشاعر ايضا الى عدم احتذاء تلك المعاني حذو السارق لها ولكنه اراد ان تكون له حصيلة ثقافية تمده بما يحتاج اليه من معان واخيلة وتشبيهات (فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الاصناف التي تخرجها المعادن . وكما قد اغترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة . وكطيب تركب من اخلاط من الطيب فيستغرب عيانه ويفمض مستنبطه .(٦٦)

ويرى د . قليقلة(٦٧) ان القاضي الجرجاني في حديثه عن الدربة واثرها في العمل الادبي قد اعتمد على رأي ابن طباطبا هذا .

والواقع الذي نلمحه في تاريخ النقد عند العرب ان الحديث عن السرقات يزداد عمقا وجدية حين يظهر شاعر مبدع خلاق يثير خلافا بين النقاد والادباء فيحتاجون فيه الى التحليل والموازنة والتعليل . وحين تشتد الخصومة الفنية بين شاعرين او اكثر من جيل واحد يقف النقاد فريقين :

---

(٦٥) ينظر النص في الحيوان ، ٣ ، ١٣١ ، وقد سبق تحليله في الفصل الخامس
(٦٦) عيار الشعر ٧
(٦٧) القاضي الجرجاني ١٣٧

فريق يبحث عن المعاني المتشابهة . ليطعن في شاعرية الشاعر . واخر يبحث عن مسوغات تبعد صاحبه عن هذه التهمة فيلجأ الى تحليل النصوص . والنظر الى جزئيات المعاني . ليجد اضافة او جمالا فنيا عند صاحبه فيسمه بالابداع والتجديد ويبعده عن تهمة السرقة وعيبها . وهكذا برزت لنا روايات بسيطة بشأن شعراء النقائض جرير والفرزدق والاخطل في المفاضلة بينهم فكان من بين اسس المفاضلة ادعاء السرق او الابتداع عندهم .(٦٨)

وحين برز ابو نؤاس في العصر العباسي وجد من اتهمه بالسرقة ايضاً فكان كتاب يموت بن المزرع عن سرقات أبي نؤاس وهو كتاب مطبوع .

وحين واجه ابن المعتز القضية التي اثيرت حول اشعار ابي تمام تحدث عن السرقات ايضا الا انه بدا مع الفريق الذي يميل الى عدم الاعتراض بها . او التمييز بينها وبين الاخذ المشروع فقد عد كثير من ابيات ابي تمام التي استقى معانيها من غيرها اخذا . ولم يسمها سرقة . هذا رأيه في كتاب البديع ولكننا نعرف ان له كتابا في السرقات ضاع ولم يصل الينا .(٦٩) ولو وصل لوجدنا آراء ربما سبق فيها غيره من النقاد في معالجة قضية السرقة .

أما الصولي فأنه لم يحكم على الشاعر بالسرقة لمجرد تشابه معانيه مع معاني غيره ولعله في هذا يساير رأيه النقدي في الدفاع عن ابي تمام . فتسويغ السرقة جزء من الدفاع عن هذا الشاعر . ومع ذلك نجد اراءه سابقة لاراء الامدي والقاضي الجرجاني من بعد . فهو يدعو الى ادامة النظر في معاني الشاعر ومعاني من اخذ عنه . وفي ذلك نجد ثلاثة محاور يدور مفهوم السرقة عنده .

المعنى المشترك بين شاعرين في زمانين مختلفين فاذا وجد شاعران قد تعاورا معنى ولفظا او جمعهما فأنه يدعو الى جعل السبق لاقدمهما سنا . ومع ذلك فأنه لايسمى المتأخر سارقاً وانما يسميه آخذا . وفي ذلك تخرج في اطلاق الحكم على سرقة الشاعر .

---

(٦٨) يراجع في هذا كتاب الموشح للمرزباني

(٦٩) يراجع في هذا مبحث ابن المعتز في هذا الكتاب

٢ . المعنى المشترك بين شاعرين في عصر واحد وهذا يدعو الصولي الى دراسة شعريهما . ليلحق المعنى المتنازع عليه باشبههما به كلاما . فاذ لم يستطع الناقد بعد هذا التحليل الوصول الى من هو احق من غيره بنسبة المعنى اليه فأنه يدعوه الى جعل المعنى مشتركا بين الشاعرين دون اتهام احدهما بالسرقة .

٣ اذا اخذ الشاعر معنى من اخر واضاف اليه زيادة جملته فأنه احق من الاول .(٧٠)

وحين نصل الى الامدي نجد موقفه متسامحا من السرقات ويبحث عن المسوغات التي تعيد الشاعر عن الشبهة والنقد المتحامل وهو يعلن بأن رأيه ليس بدعا بين أراء النقاد . لان من ادركه من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرين منهم اذ كان هذا بابا ماتعرى منه متقدم ولامتأخر .(٧١)

لقد اضاف الامدي الى آراء من سبقه اراء اخرى . وخلل فيها ابيات الشعر التي اتهم اصحابها بالسرقة . وبذا رسخ هذا المفهوم وبين حدوده واصوله فعقد فصلا طويلا عن سرقات ابي تمام واخرى عن سرقات البحتري . وذكر انه كان ينبغي له الايذكر السرقات ولايعدها من مساوىء الشاعرين . ولكنه اضطر الى ذكرها . لانها ذكرت ضمن التهم التي تبادلها فريقا ابي تمام والبحتري . ورأيه اساسا يتجلى في عدم عده السرقات بابا من عيوب الشعر . ولاهي قضية تستحق الوقوف عندها ـ وهكذا نجد الامدي يخرج كثيرا مما سمي سرقة عن كونه سرقة بل يضيف اليه فضلا اخر وهو فضل الاجادة وذلك في الحالات الاتية وهي ليست من السرقة في شيء :ـ

١ . اذا اخذ الشاعر معنى من غيره . وألطف فيه . واحسن اللفظ(٧٢)

٢ . اذا اخذ الشاعر معنى من غيره وزاده وضوحاً وبيانا واحسن واجاد(٧٣)

٣ . اذا اخذ الشاعر معنى من غيره . واضاف اليه زيادة جملته وتممته(٧٤)

---

(٧٠) اخبار ابي تمام / الصولي ، ٥٣ فما بعدها

(٧١) الموازنة ١ / ٢٩٠

(٧٢) الموازنة ١ / ٩٧

(٧٣) نفسه ٨٠

٤ . اذا اخذ الشاعر معنى وعكسه فبدا وكأنه معنى جديد فأنه لايعد سارقا بل هو مجيد (٢٥) وكذلك اذا حول المعنى واجاد فيه(٢٦)

٥ . ولايعد سرقة كل معنى مشترك بين الناس وكذا الالفاظ المتداولة المشتركة التي لايحق لاحد حق الادعاء بابتكارها . وقد رد الامدي على ابن ابي طاهر . لانه خلط بين الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس(٢٧)

اما الحالة التي تعد عيبا على الشاعر فهي اخذ معنى من غيره(٢٨) وافساده او اخذه المعنى بلفظه ونصه(٢٩)

وهكذا عالج الامدي قضية السرقة التي اتهم بها كل من البحتري وابي تمام وميز بين انواعها فالغى كثيرا مما عد عيبا وسرقة .

موقف الجرجاني من السرقات :

واخيراً يأتي القاضي الجرجاني فيقف وقفته الطويلة عند السرقات الشعرية لانها كما قلنا مما اثاره خصوم المتنبي وعدوها عيبا عليه فكان لابد له من الاستماع الى ادلة هذه التهمة . ثم تحليلها وتفنيدها .

فرأى اولاً انه لايحق لاي شخص الحديث عن السرقة الشعرية . لانه باب لاينهض به الا الناقد البصير . العالم المبرز . وليس كل من تعرض له ادركه . ولاكل من ادركه استوفاه . وهو يرى أن هناك مصطلحات ومسميات تخص السرقة ولكل منها مدلولها الخاص الذي لايفهمه الا الناقد العالم . ونجد القاضي الجرجاني مستفيداً من آراء من سبقه وآراء الامدي خاصة في تحليله للشواهد الشعرية او تفصيله لتلك الاراء واعطاء الامثلة والشواهد عليها فالمعاني المشتركة لتلك الآراء واعطاء الامثلة والشواهد عليها فالمعاني المشتركة التي ذكرها الامدي وقف عندها القاضي الجرجاني مبيناً انواعها وذاكرا شواهدها وهي كما يلي :ـ

---

(٢٥) نفسه ٨١

(٢٦) نفسه ١/ ٨٩

(٢٧) نفسه ٩٠ ـ ٩٩

(٢٨) نفسه ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٠

(٢٩) نفسه ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٥

(٣٠) نفسه ٩١ ، ٩٤

١. المعاني المشتركة المستفيضة بين الناس ولا يمكن لاحد ان يدعي حق ابتكارها كتشبيه الحسن بالشمس والبدر. والجواد بالغيث والبحر. والبليد البطيء بالحجر والحمار. والشجاع بالسيف والنار والصب المستهام بالمخبول في حيرته. والسليم في سهره. والسقيم في انينه وتألمه.. وسبب اشتراك الناس في هذه المعاني انها من الامور المتقررة في النفوس. المتصورة في العقول يشترك فيها الناطق والابكم. والفصيح والاعجم(٨٠) وهي بهذا لاتعد سرقة. ان هذا القول يذكرنا بمقولة الجاحظ ولا يخفى تأثر القاضي الجرجاني بقوله عن المعاني المطروحة في الطريق.

٢. ماكان من المعاني في الاصل مبتدعاً ومخترعاً. ثم شاع استعماله بين الناس فصار كالمشترك المستفيض ولا يحق في هذه الحالة ان يسمى من استعمل مثل هذا المعنى سارقاً. ويريد بهذه المعاني التي اكثر الشعراء من ذكرها وترديدها خاصة مايتعلق بالتشبيهات المتداولة كتشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس. والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها والمهاة في حسنها. وصفائها. ويلحق بهذه التشبيهات معان متداولة كالتشاؤم من الغراب والصرد والسائح والبارح وسؤال المنزل عن اهله. والتفجع لمن استبدل بعد ساكنه. ولوم النفس على بكاء الدار(٨١). اما اذا استعمل شاعر معنى من المعاني المشتركة. ومنحه سمة جمالية خاصة سواء بتعبير جميل او لفظة مستعذبة. فأن ابتداعه هذا يجعله صاحب حق في المعنى المشترك ويصبى وكأنه معنى خاص فاذا اخذه من شاعر اخر عد سارقاً.

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم في العلم بصنعة الشعر فتشترك الجماعة في الشيء المتداول. وينفرد احدهم بلفظه تستعذب او ترتيب يستحسن. او تأكيد يوضع موضعه او زيادة اهتدى اليها دون غيره فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع والمخترع(٨٢).

ويلحق بالمعاني المشتركة الالفاظ المشتركة التي هي اساساً اسماء الاماكن والالفاظ المشهورة المبتذلة. ويدخل ضمنها ايضاً الالفاظ الحضارية التي تشيع في بلد ما او في عصر ما. وايراد هذه الالفاظ لايعد سرقة الا اذا وردت بتعبير خاص عند شاعر معين فتصبح كالمعنى الخاص. وفي هذه الحالة فقط يعد الاخذ سارقاً.

---

(٨٠) الوساطة.
(٨١) الوساطة ١٨١
(٨٢) نفسه ١٨٤

اما المعاني الخاصة المبتدعة التي يحق لصاحبها ادعاء ابتكاره لها ويحق للناقد اتهام من اخذها بالسرقة فهي المعاني غير المشتركة التي ابتدعها شاعر معين فبقيت مقرونة به . تذكر مع اسمه ومع الصورة التي ورد فيها معناه . فاذا اخذها متأخر فضح سرقته الا اذا حاول اخراج المعنى الخاص اخراجاً جديداً كأن يضفي عليه شيئاً في التحوير والتغيير او يزيد عليه زيادة تضيف اليه حسنا وجمالاً (وانما يصح في هذا الاخذ اذا اضيفت اليه صنعة لفظ . او وصل بزيادة لفظ)(٨٣) . ان هذه الزيادة التي تجعل المعنى تعطي لصاحبها الحق في امتلاك المعنى فاذا اخذ شاعر يمكن ان يعد سارقاً .

وقد عدد القاضي الجرجاني انواعاً من الاخذ عدها من السرقات المحمودة الحسنة وهو في هذا يستفيد من آراء الامدي الا انه يزيد عليه وضوحاً بايراد الشواهد وتحليلها ومقارنتها بما سبق وما اخذ منها فهو يدخل ضمن السرقة المحمودة مايلي :ـ

١ . اخذ المعنى وايجازه ايجازاً محموداً جميلاً .
٢ . اضافة زيادة الى المعنى تجوده وتجمله .
٣ . تحسين المعنى المأخوذ وتجميله وتوكيده .
٤ . ايراد المعنى القديم ايراداً جديداً كاستعمال معنى خاص في الرثاء وتحويله الى المديح والفخر ... وغير ذلك .

انواع السرقات ومصطلحاتها :

لقد حاول بعض الباحثين استقصاء انواع السرقات التي ذكرها القاضي الجرجاني . ومحاولة وضع حد لكل منها(٨٤) وهي :ـ

١ . النوادر ـ توارد الخواطر : وهو اتفاق شاعرين متعاصرين في المعاني دون قصد ودون ان يدعي احدهما حق المعنى . اويتهم الاخر بالسرقة وقد ذكر الجرجاني ثلاثة واربعمائة شاهد من الشواهد التي ادعى فيها على ابي الطيب المتنبي السرقة وهي ليس بسرقة اصلاً .

---

(٨٣) الوساطة ٣٥٩

(٨٤) هو د . عبده قلقيلة في كتابه . القاضي الجرجاني والنقد الادبي ص ٣٣١ وقد اخذنا عنه التعريفات المتعلقة بها .

٢. السرقة ، وهي لاتحتاج الى تعريف بعد ان وضح القاضي الجرجاني حدودها وبين مايمكن ان ينطبق عليها وما لايمكن .
٣. الاغارة ، وهو وضع اليد على شعر الغير واخذه منه قهراً دون مبالاة
٤. الغصب ، وهي مثل الاغارة .
٥. الاختلاس ، وهو اخذ المعنى ونقله الى غرض جديد مع العدول به عن وزنه ونظمه وعن رويه وقافيته . ويبدو ان الاختلاس عند الجرجاني ليس سرقة لانه ليس مفضوحاً وانما يدركه الفطن الذكي فقط .
٦. الالمام ، وهو اخذ المعنى وبعض اللفظ في شيء غير قليل من الخفاء..
٧. الملاحظة ، هي اخذ المعنى مع التقليد والمحاكاة وبذا تكون اكثر من الالمام بقربها من السرقة . واقل ابداعاً فيها .
٨. التناسب : هو اخذ المعنى وبعض اللفظ مع شيء من المساواة بينهما تبعد الاخذ عن التقاليد والمحاكاة .
٩. احتذاء المثال ، وهو ان يأخذ الشاعر بمذهب غيره في التفكير او التعبير .
١٠. القلب ، وقد عده القاضي الجرجاني من لطيف السرقة لان الشاعر فيه يعكس المعنى الذي يأخذه ويجمله .
١١. تغيير المنهاج والترتيب ، ويريد بها تغيير المعنى المأخوذ لفظاً او تغييره بأضافة ما .

واذا كانت هذه المصطلحات قد استقيت من كتاب الوساطة فأن محاولة الوقوف على شواهد القاضي الجرجاني نفسه اكثر فائدة لانها تطلعنا على تطبيقاته النقدية ونظرته الثاقبة الى معاني الاشعار والتنبه على ماتشابه منها مع ذوق رفيع في التمييز بينها .

التفاضل في المعنى المتداول :

من امثلة تطبيقاته على المعاني المتداولة بين الناس وتفاضل الشعراء في ايرادها قوله ذاكراً معنى متداولاً معروفاً بين الخاصة والعامة وهو تشبيه الورد بالخدود والخدود بالورد نثراً ونظماً . فقد قال الشعراء فيه كثيراً بحيث لايمكن ادعاء السرقة فيه الا بزيادة تصم الى المعنى السابق كقول علي بن الجهم ،

عشية حيانـي بـورد كـأنه
خدود اضيفت بعضهن الى بعض

فاضاف (بعضهن الى بعض)،وان اخذ فمنه اخذ واليه ينسب .

السرقة الممدوحة :

ومثالها قول ابي دهبل الجمحي :

وكيف انساك لاايديك واحدة
عندي ولا بالذي اوليت من قدم

فقد اخذه من النابغة الذبياني في قوله :

ابي غفلتي اني اذا ماذكرته
تقطع حزن في حشى الجوف داخل
وان تلادى ان نظرت وشكتي
ومهري وما ضمت الي الانامل
حباؤك والعيس العتاق كأنها
هجان المها تردى عليها الرحائل

ويقول القاضي الجرجاني معلقاً على اخذ ابي دهبل المعاني من ابيات النابغة فاذا انصف ابا دهبل عرفت فضله . وشهدت له بالاحسان لانه جمع هذا الكلام الطويل في (ولا ايديك واحدة عندي) ثم اضاف اليه (ولا بالذي اوليت من قدم) فتم المعنى واكده واحسن تأكيده لان الامور قد تنسى اذا طال امدها وتقادم عهدها فنفى عنه وجوه النسيان كلها(٨٥) .

القلب :

ومن لطيف السرعة ماجاء به على وجه القلب وقصد به النقص كقول المتنبي ،

أأحبه وأحب فيه ملامة
ان الملامة فيه من اعدائه

---

(٨٥) الوساطة ٢٠٢

انما نقض قول ابي التشخيص ،

اجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم

وأصله لابي نؤاس ،

اذا غاديتني بصبوح عذل
ممزوج بتسمية الحبيب
فأني لااعد اللوم فيه
عليك اذا فعلت من الذنوب

غربته العلا على كثرة الاهل
فأضحى في الاقربين جنيبا
فليطل عمره فلو مات في مر
ومقيماً بها لمات غريباً

وقال ابو الطيب ،

ومن شواهد تطبيقاته ايضاً قوله ،
قال ابو تمام ،

وهكذا كنت في اهلي وفي وطني
ان النفيس غريب حيثما كانا

وبيت ابي الطيب اجود وأسلم وقد اساء ابو تمام بذكر الموت في المديح فلا حاجة به اليه . والمعنى لايختل بنقده . ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته ايضاً غريب . فأي فائدة في استقبال الممدوح بما يتطير منه(٨٦) .

وهكذا قارن القاضي الجرجاني بين المعاني وميز اختلافها في دقائق التعبيرات . وفطن الى ماخفي من السرقات . وقد اعانه على هذا اطلاعه الواسع على الشعر العربي ورغبته الصادقة في دحض حجة خصوم المتنبي في اتهامهم له

---

(٨٦) الوساطة ٣٦٩

بالسرقة . فكان يأتي بالشاهد والبيت الذي اخذ منه المعنى ويبرز الفرق بينهما ليصل بنا الى قناعة تدعو الى عدم السرقة عيباً وانها ان وجدت حقاً فهي من شواهد الاساءة او من الاخذ الغير المخفي فهو الواضح لفظاً ومعنى . اما ماسوى ذلك فهو داخل في اطار السرقة المحمودة .